الأمن الغذائي والسيادة والزراعة في المنطقة العربية (٣-٣)

الـــزراعـــة والمـــــوارد المـائـيـة فـــي المـنـطـقـة الـعـربـيـة

د. حسن الجنابي ♦

يأخذ الأمر طابعا مأساويا في الاراضي العربية تحت الاحتلال وسيطرة اسرائيل على المياه وتحويلها عن مجاريها الاصلية كما جرى لنهر الاردن، وتحكمها كسلطة احتلال بالمياه الجوفية في الضفة الغربية وقطاع غزة.

أما حوض النيل، فبالرغم من وجود اتفاقيات سابقة تضمن حقوق مصر والسودان بخصوص قسمة مياه حوض النيل، إلا ان هناك ضغوطا تمارس من اجل اعادة النظر بتلك الاتفاقيات، كما افرزت الاحداث السياسية دولة جديدة هي جنوب السودان مما قد يعرّض حوض النيل الى المزيد من التعقيدات ويزيد احتمالات الاضرارا بحقوق البلدان العربية.

يُعد الوضع في حوضي الفرات ودجلة أكثر صعوبة بسبب انعدام وجود اية اتفاقية لتقسيم المياه بين الدول المتشاطئة، وبسبب كثرة منشآت السيطرة والتخزين على النهرين بما يزيد على الايرادات السنوية الطبيعية للنهرين كما هو الحال في نهر الفرات، فقد شهد نهر الفرات أكبر حملة تشييد للسدود في المنطقة بحيث اصبحت السعة الخزنية في تركيا لوحدها اكثر من معدل جريانه الطبيعي بثلاث مرات. اما نهر دجلة فقد شهدت روافده القائمة من ايران عملية مشابهة فجفّ الكثير من الروافد وظهر تأثير ذلك بصورة كارثية في شط العراب الذي كانت ترفده من مياه نهر الكارون والكرخة الايرانيين.

وتشير التنبؤات المعتمدة في تقرير الفريق الحكومي الدولي بشأن التغيّر المناخي الى وضع اكثر تشاؤما بحيث تتفق جميع النماذج الرياضية المستخدمة لدراسة التغيّر المناخي نسبة نقصان في الايرادات المائية لحوضي الفرات ودجلة ما مقداره ٢٥٪ على الاقل.

و المعلوم أن جامعة الدول العربية انجزت مؤخرا وبمشاركة الدول العربية كافة "ستراتيجية الأمن المائي العربي" وشكلت المجلس العربي لوزراء المياه العرب، وهذه خطوة مهمة في ظل تنافس غير مسبوق على موارد المياه وخاصة منها المياه المشتركة، وكذلك الاستخدام غير الكفوء لما هو متاح منها. ان أهمية هذه الستراتيجية العربية الموحدة التي اكتفت في هذه المرحلة على تنفيذ مشاريع مشتركة ذات طابع اقليمي، تأتي من كونها اطارا للعمل المشترك بهدف تنسيق المواقف وتدقيق السياسات والبرامج بأمل تطوير سياسات هادفة الى تعزيز الأمن المائي في ظل اوضاع تتميز بندرة المياه انعكاسا لتغيّر مناخي ذي تأثير سلبي على عموم المنطقة.

ان الأمن الغذائي لا ينفصل عن الأمن المائي في المنطقة، اما على المستويات القطرية فإن شحة الموارد المائية وتدهور البيئة هما اقصر الطرق لانتشار الفقر وخاصة لدى الفئات الفقيرة والمهمشة غير القادرة على دفع فاتورة السوق في ظل تصاعد اسعار المواد الغذائية المستوردة.

> ان من اهم خصائص الزراعة في المنطقة هو كونها زراعة مروية اذ ان نسبة الزراعة الجافة، اي المعتمدة على الامطار قليلة، وبما ان منابع الانهار تقع في بلدان خارجية، فأن حساسية القضية المائية تبلغ مديات عالية في المنطقة نتيجة لسيطرة دول الجوار العربي على الموارد المائية وبناء منشآت السيطرة والتحكم فيها.

إطار الأولويات والربيع العربي

تواجه المنطقة العربية العديد من التحديات العابرة للحدود القطرية، اهمها باعتقادنا انتشار ظاهرة التصحر والاحترار المناخي الذي يؤدي الى ارتفاع معدل درجة حرارة سطح الارض، اضافة الى مخاطر الاوبئة المتنقلة وغيرها.

إن الاستجابة لهذه التحديات تتم على المستويات الوطنية من خلال خطط وبرامج تنفذها الحكومات منفردة، الا ان الحاجة الى استجابات وحلول اكثر شمولية وعلى مستوى المناطق والاقاليم، اصبحت ضرورة ملحة ومعترف بها، وقد تجسد ذلك على سبيل المثال في مبادرة جامعة الدول العربية في اطلاق "ستراتيجية الأمن المائي العربي" التي سبق ذكرها والتي اعتبرت ان الهدف الرئيس للستراتيجية هو "تحقيق الأمن المائي العربي لمواجهة التحديات والمتطلبات المستقبلية للتنمية المستدامة".

وكذلك اصدرت منظمة الأغذية والزراعة وثيقة معنونة بـ "إطار الاولويات في منطقة الشرق الادنى" والتي تبنّاها المكتب الأقليمي لمنظمة الفاو ومقره في القاهرة، لقد حددت الوثيقة خمس اولويات للمنطقة يمكن ايجازها كما يلي:

١. تعزيز الأمن الغذائي في المنطقة.
٢. زيادة الانتاج الزراعي وتحقيق التنمية الريفية.
٣. الادارة المستدامة للموارد الطبيعية.
٤. الاستجابة للتغيّر المناخي وتطوير ستراتيجيات التأقلم مع التغيّر المناخي.
٥. الاستعداد والاستجابة لحالات الطوارئ في مجالي الغذاء والزراعة.

ان اطار الاولويات هذا جاء بعد سلسلة من المشاورات المكثفة وهو يمثل قاسما مشتركا بسبب تنوع دول المنطقة واختلاف اولوياتها، إلا انه بات بحكم المؤكد ان الاحداث المتسارعة والحراك الشعبي الكبير الذي عُرف بإسم الربيع العربي، قد خلق تحديات واسئلة اخرى، وأفرز تحديات اضافية يتوجب معها اجراء مراجعة جدية لأولويات المنطقة.

فقد اكتفت المنطقة فيما سبق بالرؤية الرسمية للأنظمة السياسية القائمة التي صمدت طويلا امام التغيرات التي رافقت انتهاء الحرب الباردة، وتجاهلت في مرافق مهمة مبادئ التنمية المستدامة والشراكة والشفافية واسس العدالة وتوزيع الثروات، مما خلق فجوات كبرى في المداخيل بين اقلية بالغة الثراء وبعيدة عن المحاسبة والمكاشفة واكثرية فقيرة ومهمّشة تصارع من اجل البقاء في ظل تفشي الفقر وانعدام الامن الغذائي.

ولكن الانتفاضات الشعبية في المنطقة اطاحت بالجمود والتعثر، وفتحت افاقا كانت موصدة امام حركة المجتمع وتوقه للتحرر والتنمية والازدهار، فقد كان ارتفاع اسعار الغذاء هو المحرك الاساسي للحراك الشعبي في اكثر من منطقة، ولكن الانتفاضات اتسعت للمطالبة بالحريات والديمقراطية، وأفلحت حتى الآن بإحداث تغييرات عميقة في طبيعة عدد من النظم السياسية، واتاحت لقوى مجتمعية مهمة المشاركة الفعلية في رسم اتجاهات التطور السياسي، ولكن النتائج المادية لتلك الانتفاضات في الدول التي انتصرت بها الارادة الشعبية الى درجة كبيرة كما هو الحال في مصر وتونس لم تؤتِ ثمارها بعد، إذ دخل المجتمع والنظام السياسي في مرحلة انتقالية صعبة، اما في الدول الاخرى فما زالت انتفاضات الربيع العربي مستعرة ولم تحسم بعد.

توصيات:

١. تحفيز الانتاج الزراعي المحلي وخلق شروط نجاحه وافضليته على الاستيراد من خلال تحديث القطاع الزراعي، وجعله اكثر تنافسية عن طريق خفض كلف الانتاج، والعمل على زيادة نسبة مساهمة القطاع الزراعي في الناتج الاجمالي المحلي، كمؤشر مهم لمكافحة الفقر.
٢. الاهتمام بتعزيز سلسلة امدادات الغذاء من الانتاج والتخزين والتسويق والتصنيع والاسعار والعرض، لتحصين سوق الغذاء المحلي أزاء تقلبات اسعار السوق العالمي.
٣. التركيز على التنمية الريفية واتباع اسس التنمية المستدامة في استغلال الموارد المائية، والحفاظ على التنوع البيولوجي والبيئة والحفاظ على المناطق الرطبة لما لها من قيمة كبرى في تعزيز الامن الغذائي للسكان.
٤. تقوية القدرات الذاتية للقطاع الزراعي في مقاومة ضغط التغيرات المناخية وتوفير شروط التأقلم مع خصائص مناخية متغيرة سواء عن طريق تحسين الموارد الوراثية باتجاه اصناف اكثر انتاجية و مقاومة للتغيرات، او باطلاق برامج وسياسات تهدف الى تطوير انماط انتاج واستهلاك مناسبة.
٥. تغليب المنافع المشتركة لدول الاحواض النهرية المشتركة وتشجيع الاستناد على القوانين الدولية الخاصة بإدارة الموارد المائية المشتركة، وبما يمنع استنزافها أو تلويثها والاستغلال الجائر لمواردها السمكية، أوالحاق الاضرار بالدول المتشاطئة.
٦. التركيز على مكافحة التصحر المستفحل في المنطقة واللجوء الى برامج اقليمية تتضافر من خلالها جهود دول عدة في برامج طويلة الامد لحماية المساحات الخضراء وايقاف تمدد الصحراء وزحفها الى المناطق الريفية.
٧. منع تحويل طبيعة استخدامات الارض الزراعية وخاصة الاراضي الخصبة الى اي استخدام آخر عدا الانتاج الزراعي.
٨. النظر بجدية الى خلق شروط مناسبة للاستثمار في القطاع الزراعي مع احترام تقاليد المجتمعات المحلية والحفاظ على التنوع البيولوجي والبيئي وجعل المجتمعات المحلية اول المستفيدين من الاستثمار، مع تطوير شبكات الأمان الاجتماعي وخاصة في المراحل الانتقالية.
٩. الاستفادة من المنابر العالمية والاسهام الفعال في انشطة الوكالات الدولية في السعي الى استقرار اسعار المواد الغذائية وابعاد سوق الغذاء العالمي عن المضاربات والتقلبات المضرّة بقدرة الدول النامية في الحصول على كفايتها من الأغذية، وتشجيع منظمات المجتمع المدني على المشاركة الفاعلة في تلك المنابر.
١٠. الركون الى الزراعة الحافظة قدر الامكان وذلك لتقليل كلف الانتاج الزراعي وللمحافظة على خصائص التربة وخصوبتها، والتقليل من استخدام الاسمدة الكيمياوية، والتعامل مع التربة باعتبارها مورد قابل للاستنزاف.

■ محاضرة قدمت في الورشة الاقليمية التشاورية لمنظمات المجتمع المدني في المنطقة العربية تحضيرا لقمة ريو دي جانيرو المقبلة في البرازيل
بيروت ١٢ – ١٣ اكتوبر ٢٠١١

♦ سفير العراق لدى منظمة الفاو

كاريكاتير

■ عادل صبري

على هامش الصراحة

■ إحسان شمران الياسري
ihsanshamran@yahoo.com

لا بديل له !

يقولون (والعُهدة عليهم، واسأل الله أن يدخلهم جهنم إن كانوا كاذبين)، إن دولة رئيس الوزراء رفض استقالة احد المسؤولين (الفاشلين) نظراً لعدم وجود (بديل له).. واسأل الله مرة أخرى أن يُلقي الزاعمين بهذا القول في الدرك الأسفل من النار إنْ كان افتراءً على الناس وعلى المسؤولين، ولكن لنفترض إن دولته رفض بالفعل استقالة احد المسؤولين.. ولنفترض إن ذاك المسؤول لم يكن فاشلاً ،بل مسؤولا على درجة كبيرة من الأهمية، وعلى سعة كبيرة بمهام مؤسسته.. وكان ناجحاً نجاحاً منقطع النظير.. وكل هذه فرضيات قد لا تجد من يقرأها في زحمة الكم الهائل من الصحف والأخبار والفضائيات و(الثرد)، ولكن لكل فرضية لذتها، ولكل برهان نظرية لذته وفائدته..

ودعني اسأل، لماذا نفترض إن شخصاً ما لا بديل له. ومن هو الشخص بمواصفات من هذه الشاكلة.. وهل في دولتنا (عُسر) ولادات بحيث إن أماً عراقية ماجدة ولدت ولم تلد بعدها النساء.. فالمهندس موجود، ونتعثر بالكفاءات منهم، ثم لا نسأل عنهم.. والاقتصاديون أكثر من (الهمّ على القلب) كما يقول سيد مهدي.. والأطباء العراقيون يُديرون أفضل مستشفيات العالم.. حتى قال احدهم إن نقيب أطباء بريطانيا عراقي.. أما المحاسبون، فيبحثون عمن يوفر لهم فرصة عمل، وبعضهم بكفاءة تبزُّ كفاءة الانكَليز والكنديين والأمريكان..

فهل من مزيد.. المحامون والحقوقيون والمتخصصون بالعلوم السلوكية والجغرافيا والتاريخ والدين والتربية (الوطنية والقومية) والأحياء والصيدلة وشؤون العشائر والمختارون والضباط والغواصون والبحارون.. ولا ادري بقية المهن العديدة..

فمن المسؤول الذي لا بديل له، والذي شعر (ويا للعجب) انه فاشل فطلب التنحي لان الأمة (كفرت) من فشله.. ومع ذلك تتمسك به الدولة وتقول (لا بديل له).. أهو (أينشتاين)؟ لا ادري.. ولكن الأخير لم يدع انه (لا بديل له)، حتى انه منح سائقه فرصة أن يُلقي المحاضرة بدلا عنه في إحدى الجامعات نظرا لمقدار ما استوعبه (السائق) من معلومات نتيجة مرافقته.. يعني إن (أينشتاين) أصبح له بديل.

فمن المسؤول الذي ليس له بديل أو (لا بديل له)؟

إن مَن يدّعي، أو يوهم الناس، والرؤساء، أنْ لا بديل له، هو المسؤول الفاشل الذي ينصب (الشرك) للناس، ويضع كل شيء رهناً بشخصه ابتداءً من الإبرة وحتى نصب المحطات العملاقة لتوليد الكهرباء أو تحلية المياه أو إطلاق الصواريخ..

إن دولتنا ابعد ما تكون عن مثل هؤلاء الشخوص واقرب للهزيمة بوجودهم..

بين الدرس السوفياتي وتورّط التحالف الدولي: العشر العجاف في أفغانستان

د.فالح الحمراني♦

> بعد مرور عشر سنوات على بدء عملية "الحرية الصامدة" لمكافحة الارهاب الذي وافق ٧ تشرين الأول الحالي، لم تحقق قوات التحالف الدولي المتواجدة في افغانستان الاهداف المنشودة بتصفية اكبر بؤرة للارهاب بالعالم وبناء دولة افغانستان المتحضرة، بل ظهرت مؤشرات على حتمية عودة الطالبان للحكم.

وتخرج المنظمات الانسانية غير الحكومية بعد عشر سنوات من التدخل الغربي بنتائج غير مريحة عن حالة الوضع الانساني هناك حيث ينعدم الامن ويصعب الحصول على خدمات طبية ولاسيما في المناطق الريفية النائية ووجدَ آلاف المدنيين في هذه المرحلة الجديدة من الحرب المتواصلة منذ ٣٠ عاما، مرة اخرى انفسهم بين نيران المعسكرين المتحاربين ، الشعوب دائما هي الضحية.

وحين نجمل نتائج العشر سنوات لمرابطة قوات التحالف الدولي في افغانستان نرى صورة قاتمة بحق . فأولا: تحولت افغانستان الى المنتج الاول للمخدرات، حيث ان ٩٣٪ من الانتاج يأتي من افغانستان.

وثانيا : العملية العسكرية لم تصف بؤر الارهاب ولم تخلق القوات المرابطة الجو السياسي الملائم لاقامة نظام يلتف حوله الشعب الافغاني وهناك خطر فعلي بعودة الطالبان لحكم البلاد المنكوبة وارساء نظام ظلامي. ويمكن ان تتطور الاحداث نحو نشوء حالة سياسية مزدوجة بالمواجهة بين التحالف الشمالي والبشتون، ولكن من دون احمد شاه مسعود الذي لقي حتفه.

والنتيجة الثالثة اشاعة التطرف في باكستان التي تجسّدت بدخول الاسلاميين المتشددين الى المحافظات المركزية، وظهور تشكيلات مثل طالبان البنجاب، والعمليات حول المنشآت النووية الباكستان. وتجمع القراءات على ان فراغا سياسيا سينشأ بعد خروج القوات الامريكية التي تلعب دورا رئيسيا (الاخرى لها حضور رمزي) ، ومن المرتقب ان تملأه القوى الاسلامية المتشددة ، وتحظى هذه القوى بدعم من باكستان التي تخطط لتكون قوة اقليمية نافذة في المنطقة بعد الانسحاب الامريكي. وتراهن مؤسسات القوة في باكستان الان على حركة "حقاني" والطالبان التقليديين، ويحاول الرئيس الافغاني حميد كرزاي بدوره الان العثور على قوة لمواجهة النفوذ الباكستاني، ويسعى لكسب الهند الى جانبه. وبهذا يمكن القول ان التحالف الدولي لم يتمكن من تغيير الوضع في افغانستان نحو الاحسن، ومن المنتظر تفاقم الوضع بين الهند وباكستان بعد خروج القوات الامريكية، وبين جمهوريات اسيا الوسطى والاسلاميين المتشددين، الذين سيأتون من الاراضي الافغانية. وبهذا تعود الامور الى المربع الاول في محاربة ما يسمى بالارهاب والتطرف.

الدرس السوفياتي

ويجمع الجنرالات ورتب عسكرية اخرى الذين تعيّن عليهم المشاركة بالحرب في افغانستان،والمحللون العسكريون الروس وساسة من تلك الحقبة، على ان الفشل سيكون حليف اي تدخل عسكري في افغانستان لان سكان البلاد سيقفون ضده. وبعد مرور اكثر من ٣٠ عاما على بداية الدخول السوفياتي في افغانستان يراقب الروس اليوم باهتمام وحذر الحرب الجارية هناك وتحركات قوات التحالف، ويعربون عن الثقة ان الجيوش عاجزة عن السيطرة على شعب باسره، وان الفشل حليف اية محاولة من هذاالنوع، لذلك ينبغي على القوى التي تقف اليوم وراء الحرب بافغانستان ان تتراجع، وان التعاطي مع السكان والعمل على تغيير الايدلوجيات البالية والظلامية وتحسين الحالة الاقتصادية، هو الطريق الذي يقود الى النصر .

لقد اصبح معروفا اليوم ان المصالح الجيوسياسية والمخاوف من خطط الغرب كانت وراء قرار الكرملين حينها بدفع القوات السوفياتية لغزو افغانستان. ومازال هناك من يعتقد حتى الان ان خيار الدخول كان القرار الذي لا بديل له بالنسبة لموسكو. ويذهبون لو ان السوفيات لم ينشروا قواتهم بافغانستان لسارعت القوات الامريكية لاحتلالها. ويشير البعض الاخر الى ان الحدود التي كانت تربط الاتحاد السوفياتي السابق بافغانستان امتدت لـ ٣٠٠ كم وكان من الجنون السماح لواشنطن القبض على كفة الامور هناك، وكانت الامور ستتطور على هذه الشاكلة لو ان موسكو لم تتخذ اية خطوات وتسارع بالغزو الذي استمر عشر سنوات واسفر عن قتل واصابة عشرات الآلاف ، ولكن هناك اجماعاً على ان الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة ساعدا على ولادة الارهاب في افغانستان، وكلاهما الان يجني الثمار. ان المشكلة الان تكمن في ان جيلا افغانيا باسره من الشباب ترعوع في ظل ظروف الحرب، انهم لا يتقنون الان شيئا غير فن الحرب، والافضع من كل ذلك انهم اعتادوا على ذلك و لا يرغبون بالبحث عن نمط آخر للحياة. وثمة توقعات قوية بموسكو بان هذه الوقائع سترغم قوات الناتو على الخروج وان حكومة قرضاي ستصمد لفترة اقل من صمود حكومة نجيب الله التي تركتها موسكو/ غورباتشوف بعد انسحابها لمواجهة قدرها وقوى الاسلاميين المدعومة من الغرب وقوى اقليمية. والوقت مازال كافيا بعد لإعادة النظر في السيناريوهات القديمة والتفكير بطريقة جديدة تقوم على اشراك الشعب الافغاني بتقرير مصيره واستمالته لعملية التحديث والتطوير وتقوية ثقته بالجهود الدولية والاقليمية التي ينبغي ان تكون جماعية لا حكرا على قوة واحدة، ومرابطة قوات دولية هناك لكبح جماح الحركات الظلامية والتطرف والتعصب والفهم المتخلف للدين، والحيلولة دون نشر ميولها الى اسيا الوسطى والبلدان العربية وتهديدها للعالم اجمع.

♦ إعلامي من العراق يُقيم بموسكو